سورة لقمان

مكية [إلا الآيات ٢٧ و٢٨ و٢٩ فمدنية]
وآياتها ٣٤ وقيل ٣٣ [نزلت بعد الصافات]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة. أو وصف بصفة الله تعالى على الإسناد المجازي. ويجوز أن يكون الأصل: الحكيم قائله، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالنصب على الحال عن الآيات. والعامل فيها: ما في تلك من معنى الإشارة. وبالرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها: من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيقان بالآخرة ونظيره قول أوس: [المنسرح]

أَلأَلْـمَـعِـيَّ الَّـذِي يَـظُـنُّ بِـكَ الـظَّـ ... ـظَنَّ أَجْمِلِي كَأَنْ قَدْ رَأَىٰ وَقَدْ سَمِعَا[1]

---

(١) أيتها النفس أجملي جزعا ... إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع السماحة والنـ ... ـنجدة والبر والتقى جمعا
الألمعي الذي يظن بك الظـ ... ـظنّ كأن قد رأى وقد سمعا
أودى فلا تنفع الإشاحة من ... أمر لمن قد يحاول البدعا

لأوس بن حجر، يرثي فضالة بن كلدة. يقول: يا نفس احتملي جزعاً عظيماً، إن الذي تخافين منه قد حصل، وبينه بقوله: إن الذي جمع المكارم كلها أودى، أي: هلك. وجمع ـ بالضم ـ: توكيد للصفات قبله. والألمعي: نصب على الصفة للذي، وفسره بأنه الذي يظن بك، يعني كل مخاطب، أي: يظن الظن الحق، كأنه قد رأى وسمع ما ظنه أو يظن الظن فيصيب، كأنه قد رآه إن كان فعلاً، أو سمعه إن كان قولاً. وفيه نوع من البديع يسمى التفسير، وهو أن يؤتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفته بدون تفسيره، ذكره السيوطي في شرح عقود الجمان. والإشاحة: الشجاعة والجد في القتال. وضمن «تنفع» معنى «تحفظ» فعداه بمن، أي: فلا تحفظ الشجاعة من مكروه أحداً. وعداه «باللام» نظراً للفظه. والأقرب أن من واللام زائدتان لتوكيد الكلام، أي: فلا تنفع الإشاحة شيئاً من النفع أحداً من الناس يحاول ويطلب بدائع الأمور وعظائمها، يعني: أن فضالة كان كذلك فمات. =

حكي عن الأصمعي: أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد. أو للذين يعملون جميع ما يحسن من الأعمال، ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث بفضل اعتداد بها.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾

اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما يعني و﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ نحو السمر بالأساطير والأحاديث التي لا أصل لها، والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام، وما لا ينبغي من كان وكان، ونحو الغناء وتعلم الموسيقار[1]، وما أشبه ذلك. وقيل: نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى فارس، فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن. وقيل: كان يشتري المغنيات. فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول: أطعميه واسقيه وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه. وفي حديث النبي ﷺ: «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا أثمانهن» (١١٤٦). وعنه ﷺ «ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين: أحدهما

١١٤٦ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة وهم أبو أمامة، وعمر، وعلي، وعائشة.
ـ حديث أبي أمامة:
أخرجه الترمذي (٣/ ٥٧٠) كتاب البيوع: باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات حديث (١٢٨٢)، وأحمد (٥/ ٢٥٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٩)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٤١ ـ بتحقيقنا)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٣٣) رقم (٧٨٠٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٤ ـ ١٥) كتاب البيوع: باب ما جاء في بيع المغنيات كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً.
وقال الترمذي: حديث أبي أمامة إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي.
والحديث ذكره عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠) من جهة الترمذي، وقال: علي بن يزيد ضعيف ضعفه البخاري وأبو حاتم، وأبو زرعة، وأحمد بن حنبل.
وقال النسائي: علي بن يزيد أبو عبد الله متروك وأحسن ما سمعت فيه قول الجرجاني: علي بن يزيد في نفسه صالح، إلا أن يروى عنه ضعيف، وهذا الحديث رواه عن علي بن يزيد عبيد الله بن =

= وفيه نوع تسل.

(١) قوله «وتعلم الموسيقار» يونانية. ومعناه: علم الغناء، وبغير راء: ذات الغناء، كذا قيل. (ع)

على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب، فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو

= زحر صاحب كل معضلة والقاسم ضعفه أحمد بن حنبل ووثقه البخاري وقال أبو أحمد الجرجاني: وذكر القاسم هذا كان خيراً فاضلاً. اهـ.

والحديث أخرجه ابن أبي شيبة وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه والثعلبي والبغوي كما في تخريج الكشاف (٣/ ٦٧) وللحديث طريق آخر.
أخرجه ابن ماجه (٢/ ٧٣٣) كتاب التجارات باب ما لا يحل بيعه حديث (٢١٦٨) من طريق أبي المهلب عن عبيد الله الإفريقي عن أبي أمامة به مرفوعاً.
وله طريق ثالث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢١٢) رقم (٧٧٤٩) من طريق يحيى بن الحارث عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً.
- حديث عمر:
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٧٣) رقم (٨٧) من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «ثمن القينة سحت وغناؤها حرام والنظر إليها حرام وثمنها مثل ثمن الكلب وثمن الكلب سحت ومن نبت لحمه على السحت فالنار أولى به».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٤): وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك ضعفه جمهور الأئمة ونقل عن ابن معين في رواية لا بأس به وضعفه في أخرى.
- حديث علي:
أخرجه أبو يعلى (١/ ٤٠٢) رقم (٥٢٧) من طريق الحارث بن نبهان عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعاً بلفظ: «نهى رسول الله - ﷺ - عن المغنيات والنواحات وعن شرائهن وعن بيعهن وتجارة فيهن وقال: كسبهن حرام».
والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٩٤) وقال: رواه أبو يعلى وفيه ابن نبهان وهو متروك.
- حديث عائشة:
أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٧٨٤ - ٧٨٥) رقم (١٣٠٩) من طريق ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن عائشة.
وقال ابن الجوزي: لا يصح، ليث بن أبي سليم متروك قال ابن حبان اختلط في آخر عمره فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل ويأتي عن الثقات ما ليس من حديثهم.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: اخرجه الطبري وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة بهذا. وهو عند أحمد وابن أبي شيبة والترمذي وأبي يعلى من هذا الوجه وهو ضعيف، ورواه الطبراني من طريق يحيى بن الحارث عن القاسم نحوه. وله طريق آخر عند ابن ماجه من رواية عبيد الله الأفريقي عن أبي أمامة، قال: «نهى رسول الله - ﷺ - عن بيع المغنيات وعن شرائهن، وعن كسبهن وعن أكل أثمانهن وفي الباب عن عمر. أخرجه الطبراني وابن عدي من رواية يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن خصيف عن السائب بن يزيد عن عمر نحوه. ويزيد بن عبد المطلب ضعيف وعن علي أخرجه أبو يعلى وابن عدي وفيه الحارث بن نبهان وهو ضعيف، وعن عائشة أخرجه البيهقي وفيه ليث بن سليم وهو ضعيف. انتهى.

الذي يسكت» (١١٤٧). وقيل: الغناء منفذة للمال، مسخطة للرب، مفسدة للقلب. فإن قلت: ما معنى إضافة اللهو إلى الحديث؟ قلت: معناها التبيين، وهي الإضافة بمعنى من، وأن يضاف الشيء إلى ما هو منه، كقولك: صفة خز، وباب ساج(١). والمعنى: من يشتري اللهو من الحديث؛ لأن اللهو يكون من الحديث ومن غيره، فبين بالحديث. والمراد بالحديث. الحديث المنكر، كما جاء في الحديث: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» (١١٤٨)، ويجوز أن تكون الإضافة بمعنى «من» التبعيضية، كأنه قيل: ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه. وقوله: ﴿يَشْتَرِى﴾ إما من الشراء، على ما روي عن النضر: من شراء كتب الأعاجم أو من شراء القيان. وإما من قوله: ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٧٧] أي استبدلوه منه واختاروه عليه. وعن قتادة: اشتراؤه: استحبابه، يختار حديث الباطل على حديث الحق. وقرئ: ﴿لِيُضِلَّ﴾ بضم الياء وفتحها. و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام أو القرآن. فإن قلت: القراءة بالضم بينة، لأن النضر كان غرضه باشتراء اللهو: أن يصدّ الناس عن الدخول في الإسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه، فما معنى القراءة بالفتح؟ قلت: فيه معنيان، أحدهما: ليثبت على ضلاله الذي كان عليه، ولا يصدف عنه، ويزيد فيه ويمدّه، فإن المخذول كان شديد

١١٤٧ ـ أخرجه الطبراني في معجمة الكبير (٨/ ٢٤١) رقم (٧٨٢٥)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدهما وثقوا وضعفوا.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٦٩) إلى أبي يعلى في مسنده كلاهما من حديث رشدين بن سعد عن يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زهر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة به.

وأخرجه الطبراني أيضاً في معجمه: (٨/ ٢١٢) رقم (٧٧٤٩)، والترمذي (٥/ ٣٤٥): كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة لقمان، حديث (٣١٩٥)، وقال: هذا حديث غريب من طريق القاسم عن أبي أمامة به.

وأخرجه الواحدي في تفسيره: (٣/ ٤٤١) والثعلبي وابن مردويه في تفسيرهما كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٧٠) من طريق مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم عن أبي أمامة به.

وبهذا السند والمسند أخرجه إسحاق بن راهويه، والحارث بن أبي أسامة، والواحدي في أسباب النزول كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٧٠).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو يعلى وإسحاق والحارث من طريق أبي أمامة وهو عند الطبراني من رواية يحيى بن الحارث عن القاسم في الحديث الذي قبله. انتهى.

١١٤٨ ـ تقدّم في سورة التوبة.

---

(١) قوله «كقولك صفة خز وباب ساج» لعله محرف. وأصله جبة خز، ثم رأيت في الصحاح: صفة الدار والسرج: واحدة الصفف اهـ. فلعل صفة السرج تكون من خز. (ع)

الشكيمة في عداوة الدين وصدّ الناس عنه. والثاني: أن يوضع ليضل موضع ليضل، من قبل أن من أضل كان ضالاً لا محالة، فدل بالرديف على المردوف. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؟ قلت: لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال: يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها، حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق. ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] أي: وما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها: وقرئ ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب والرفع عطفاً على يشتري. أو ليضل، والضمير للسبيل؛ لأنها مؤنثة، كقوله تعالى: ﴿وَتَصُدُّونَ/ ٢/ ٩٣أ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾.

﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ زاماً[1] لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأساً: تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ أي ثقلا ولا وقر فيهما، وقرئ: بسكون الذال. فإن قلت: ما محل الجملتين المصدرتين بكأن؟ قلت: الأولى حال من (مستكبراً) والثانية من لم يسمعها: ويجوز أن تكونا استئنافين، والأصل في كأن المخففة: كأنه، والضمير: ضمير الشأن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان، الأول: مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره؛ لأن قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ في معنى: وعدهم الله جنات النعيم، فأكد معنى الوعد بالوعد. وأما ﴿حَقًّا﴾ فدال على معنى الثبات: أكد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعاً قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه، يقدر على الشيء وضده، فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء، وهو ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ لا يشاء إلا ما توجبه الحكمة والعدل ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير فيه للسموات، وهو استشهاد برؤيتهم لها، غير معمودة على قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ كما تقول لصاحبك: أنا بلا سيف ولا رمح تراني فإن قلت: ما محلها من الإعراب؟ قلت: لا محل لها لأنها مستأنفة. أو هي في محل الجرّ صفة للعمد أي: بغير عمد مرئية، يعني: أنه عمدها بعمد لا ترى، وهي إمساكها بقدرته ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته. والخلق بمعنى المخلوق. و﴿ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ آلهتهم، بكتهم بأن

(١) قوله «زاما لا يعبأ بها» في الصحاح: زم بأنفه، أي: تكبر، فهو زام. (ع)

هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه. فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة، ثم أضرب عن تبكيتهم إلى التسجيل عليهم بالتورّط في ضلال ليس بعده ضلال.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

هو لقمان بن باعورا: ابن أخت أيوب أو ابن خالته. وقيل: كان من أولاد آزر، وعاش ألف سنة، وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم، وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام، فلما بعث قطع الفتوى، فقيل له؟ فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل: كان قاضياً في بني إسرائيل، وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً. ولكن كان راعياً أسود، فرزقه الله العتق، ورضي قوله ووصيته، فقص أمره في القرآن لتمسكوا بوصيته. وقال عكرمة والشعبي: كان نبياً. وقيل: خير بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة[1]. وعن ابن المسيب: كان أسود من سودان مصر خياطاً، وعن مجاهد: كان عبداً أسود غليظ الشفتين متشفق[2]: القدمين. وقيل: كان نجاراً. وقيل: كان راعيا وقيل: كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة. وعنه أنه قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض. وروي أن رجلاً وقف عليه في مجلسه فقال: ألست الذي ترعى معي في مكان كذا؟ قال: بلى. قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني. وروي أنه دخل على داود عيه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت، فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبوس الحرب أنت. فقال: الصمت حكمة وقليل فاعله، فقال له داود: بحق ما سميت حكيماً. وروي أن مولاه أمره بذبح شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين. فأخرج اللسان والقلب، ثم أمره بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب، فسأله عن ذلك؟ فقال: هما أطيب ما فيها إذا طابا، وأخبث ما فيها إذا خبثا. وعن سعيد بن المسيب أنه قال لأسود: لا تحزن، فإنه كان من خير الناس

---

(١) ذكر محمود في ذلك اختلاف العلماء في نبوته، وذكر أثناء ذلك أنه خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة. قال أحمد: وفي هذا بعد بين، وذلك أن الحكمة داخلة في النبوة، وقطرة من بحرها، وأعلى درجات الحكماء تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره. وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة.

(٢) قوله «متشفق» في الصحاح: «الشفق»: الرديء من الأشياء. يقال: غطاء مشفق، أي: مقلل اهـ. والظاهر أنه متشقق بقافين. (ع)

ثلاثة من السودان: بلال، ومهجع مولى عمر، ولقمان. ﴿أَنِ﴾ هي المفسرة، لأنّ إيتاء الحكمة في معنى القول، وقد نبه الله سبحانه على أنّ الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي: هو العمل بهما وعبادة الله والشكر له، حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر ﴿غَنِيٌّ﴾ غير محتاج إلى الشكر ﴿حَمِيدٌ﴾ حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾

قيل: كان اسم ابنه «أنعم» وقال الكلبي: «أشكم» وقيل: كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال بهما حتى أسلما ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لأنّ التسوية بين من لا نعمة إلا هي منه، ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصوّر أن تكون منه ـ: ظلم لا يكتنه عظمه.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

أي ﴿حَمَلَتْهُ﴾ تهن ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ كقولك رجع عودا/ ٢/ ٩٣ب على بدء، بمعنى؛ يعود عوداً على بدء، وهو في موضع الحال. والمعنى: أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي: يتزايد ضعفها ويتضاعف؛ لأنّ الحمل كلما ازداد وعظم، ازدادت ثقلاً وضعفاً. وقرئ: وهنا على وهن، بالتحريك عن أبي عمرو. يقال: وهن يوهن. ووهن يهن. وقرئ: وفصله ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ تفسير لوصينا ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أراد بنفي العلم به نفيه، أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء[1]، يريد الأصنام، كقوله تعالى: ﴿مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [العنكبوت: ٤٢]. ﴿مَعْرُوفًا﴾ صحاباً. أو مصاحباً معروفاً حسناً بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة، وما يقتضيه الكرم والمروءة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ يريد: واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه ـ وإن كنت مأموراً بحسن مصاحبتهما في الدنيا ـ ثم إليّ مرجعك ومرجعهما، فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما، علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الإنسان في صحبتهما ومعاشرتهما: من مراعاة حق الأبوة وتعظيمه، وما لهما من المواجب التي لا يسوغ الإخلال بها، ثم بين حكمهما وحالهما في

---

(١) قال محمود: «معناه: ما ليس بشيء، وعبر بنفي العلم عن نفي المعلوم» قال أحمد: هو من باب قوله: «على لاحب لا يهتدي بمناره» أي: ما ليس باله فيكون لك علم بالإلهية. وليس كما ذكره في قول فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ وقد مر معناه فيما تقدم.

الآخرة. وروي: أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمّه. وفي القصة: أنها مكثت ثلاثاً لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها[1] بعود. وروي أنه قال: لو كانت لها سبعون نفساً فخرجت، لما ارتددت إلى الكفر. فإن قلت: هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان؟ قلت: هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد، تأكيداً لما في وصية لقمان من النهي عن الشرك. فإن قلت: فقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ كيف اعترض به بين المفسر والمفسر؟ قلت: لما وصى بالوالدين: ذكر ما تكابده الأمّ وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدّة المتطاولة، إيجاباً للتوصية بالوالدة خصوصاً[2]. وتذكيراً بحقها العظيم مفرداً، ومن ثمّ قال رسول الله ـ ﷺ ـ لمن قال له: من أبر؟ «أمّك ثم أمّك ثم أمّك» ثم قال بعد ذلك: «ثم أباك» (١١٤٩). وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه [من الرجز]:

أَحْمِلُ أُمِّي وَهِيَ الْحَمَّالَهْ ... تُرْضِعُنِي الدِّرَّةَ وَالْعُلالَهْ

وَلاَ يُجَازَى وَالِدٌ فَعَالَهْ[3]

١١٤٩ ـ أخرجه أبو داود (٤/٣٣٦): كتاب الأدب: باب في بر الوالدين، حديث (٥١٣٩)، والترمذي (٤/٣٠٩): كتاب البر والصلة عن رسول الله ـ ﷺ ـ باب ما جاء في بر الوالدين، حديث (١٨٩٧)، كلاهما من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده به. وقال الترمذي: وبهز بن حكيم هو أبو معاوية بن حيوة القشيري وهذا حديث حسن. وقد تكلم شعبة في بهز بن حكيم، وهو ثقة عند أهل الحديث، وروى عنه معمر والثوري وحماد بن سلمة وغير واحد من الأئمة.
وللحديث شاهد من طريق أبي هريرة.
أخرجه البخاري (١٢/٤): كتاب الأدب: باب من أحق الناس بحسن الصحبة؟، حديث (٥٩٧١)، ومسلم (٨/٣٤٣ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (١/٢٥٤٨)، وابن ماجه (٢/١٢٠٧): كتاب الأدب: باب بر الوالدين، حديث (٣٦٥٨). كلهم من طريق جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة به.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود، والترمذي من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: «قلت: يا رسول الله، من أبر؟ الحديث» وله شاهد في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال: من أحق بصحابتي؟ ـ الحديث». انتهى.

---

(١) قوله «حتى شجروا فاها بعود» في الصحاح: شجره بالرمح، أي: طعنه. (ع)
(٢) قال محمود: «فيه تخصيص حق الأم، وهو مطابق لبدايته، فذكرها في وجوب البر في الحديث المأثور» قال أحمد: وهذا من قبيل ما يقوله الفقهاء: إن اللام من عمل الولد قبل الحلم جله، وهو مما يفيد تأكيد حقها، والله أعلم.
(٣) لعربي يحمل أمه إلى الحج، وهي الحمالة: جملة حالية، أي: كثيرة الحمل بحسب ما كان. أو من عادتها ذلك، وترضع: حال متداخلة، والدرة ـ بالضم: كثرة اللبن وسيلانه، والمراد بها: اللبن =

فإن قلت: ما معنى توقيت الفصال بالعامين؟ قلت: المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز، والأمر فيما دون العامين موكول إلى اجتهاد الأم: إن علمت أنه يقوى على الفطام فلها أن تفطمه. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وبه استشهد الشافعي ـ رضي الله عنه ـ على أن مدة الرضاع سنتان، لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما، وهو مذهب أبي يوسف ومحمد. وأما عند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ. فمدة الرضاع ثلاثون شهراً. وعن أبي حنيفة: إن فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم أرضعته، لم يكن رضاعاً. وإن أكل أكلاً ضعيفاً لم يستغن به عن الرضاع ثم أرضعته، فهو رضاع محرم.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾

قرئ ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنصب والرفع، فمن نصب كان الضمير للهنة[١] من الإساءة أو الإحسان، أي: إن كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل، فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة[٢] أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلى ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة فيحاسب بها عاملها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يتوصل علمه إلى كل خفي ﴿خَبِيرٌ﴾ عالم بكنهه. وعن قتادة: لطيف باستخراجها، خبير بمستقرّها. ومن قرأ بالرفع: كان ضمير القصة، وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة؛ كما قال [من الطويل]:

. . . . كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[٣]

وروي أنّ ابن لقمان قال له: أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ـ أي: في مغاصه ـ يعلمها الله؟ فقال: إنّ الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة؛ لأنّ الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء. وقيل: الصخرة هي التي تحت الأرض، وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار. وقرئ: فتكن، بكسر الكاف. من وكن الطائر يكن: إذا استقر في وكنته، وهي مقره ليلاً.

= الكثير. والعلالة ـ بالضم ـ: بقية اللبن، والحلبة بين الحلبتين، وتطلق على بقية جري الفرس. والعلل: الشرب الثاني، والشرب الأول النهل: وروي ترضعني الدرة. والفعال ـ بالفتح ـ: فعل الخير وأراد بالوالد: الأم، أو ما يشمل الأب والأم.

(١) قوله «للهنة من الإساءة» في الصحاح «هن»: على وزن أخ: كلمة كناية. ومعناه: شيء، ومؤنثه: هنة. والقماءة: الصغر والحقارة. كذا في الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «هذا من البديع الذي يسمى التتميم» قال أحمد: يعني أنه تمم خلفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، وهو من وادي قولها كأنه علم في رأسه نار.

(٣) تقدم

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ يجوز أن يكون عاماً في كل ما يصيبه من المحن، وأن يكون خاصاً بما يصيبه فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: من أذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور، أي: قطعه قطع إيجاب والزام. ومنه الحديث «لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل» (١١٥٠)، أي: لم يقطعه بالنية: ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «لمن لم يبيت الصيام» (١١٥١)، ومنه: «إنّ الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه» (١١٥٢). وقولهم: عزمة من عزمات

١١٥٠ ـ تقدّم في سورة البقرة.

١١٥١ ـ تقدّم أيضا.

١١٥٢ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٧١): روي من حديث ابن عمر، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث ابن مسعود، ومن حديث أبي هريرة، ومن حديث عائشة .اهـ.

أما حديث ابن عمر:

فأخرجه أحمد ٢/ ١٠٨، وابن حبان في صحيحه ٦/ ٤٥١ (٢٧٤٢)، ٨/ ٣٣٣ (٣٥٦٨) لكن في الموضع الثاني بلفظ: «كما يجب أن تؤتى عزائمه».

والبزار ١/ ٤٦٩ (٩٨٨ ـ ٩٨٩ ـ كشف الأستار)، والبيهقي ٣/ ١٤٠ كتاب الصلاة / باب كراهية ترك التقصير والمسح على الخفين وما يكون رخصة رغبة عن السنة. والخطيب في تاريخه ١٠/ ٣٤٧، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٧٨) كما في فتح الوهاب بتخريج الشهاب للغماري (٢/ ٢٠٥) رقم (٦٠٧) قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٦٥: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، والبزار، والطبراني في الأوسط، وإسناده حسن» اهـ.

وله شاهد من حديث ابن عباس: رواه الطبراني في الكبير (١١٨٨٠ ـ ١١٨٨١)، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٦٩ (٣٥٤) والبزار (٩٩٠ ـ كشف)، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٢٧٦، قال الهيثمي في المجمع ٣/ ١٦٥: «رواه الطبراني في الكبير والبزار ورجال البزار ثقات وكذلك رجال الطبراني» .اهـ.

وأما حديث ابن مسعود:

فأخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٠٣) رقم (١٠٠٣٠)، وفي الأوسط (٣/ ٢٧٦) رقم (٢٦٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٣/ ١٦٥): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه معمر بن عبد الله الأنصاري؛ قال العقيلي: لا يتابع على رفع حديثه .اهـ.

كما أخرجه أبو نعيم (٢/ ١٠١) كلهم مرفوعاً من طريق شعبة عن الحكم بن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله عز وجل يحب أن تقبل رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه».

وقال أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٠١): لم يروه مرفوعاً عن شعبة إلا معمر ورواه غندر وبكر بن بكار وغيرهما مرفوعاً.

وأما حديث أبي هريرة: =

ربنا (١١٥٣)، ومنه: عزمات الملوك. وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده:

= فأخرجه ابن أبي شيبة وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٧٣).
وأما حديث عائشة:
فقد قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٧٣): رواه ابن عدي في الكامل من طريقين:
أحدهما: عن الحكم بن عبد الله بن سعد الأيلي، أنه سمع القاسم عن عائشة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن الله يحب أن يعمل برخصه، كما يحب أن يعمل بفرائضه» وضعف الحكم هذا عن جماعة جداً ووافقهم.
والآخر: عن عمر بن عبيد البصري: ثنا هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة مرفوعا: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»، قلت: وما عزائمه؟ قال: «فرائضه»، وضعف عمر بن عبيد هذا، وقال: لم يروه بهذا الإسناد غيره.
وبهذا السند والمتن أخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه، والطبراني في معجمه الأوسط كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٧٤).
حديث آخر: أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٥/٤٨٨) رقم (٤٩٢٤) من طريق الفضل بن العباس القرطبي، عن إسماعيل بن عيسى العطار عن عمر بن عبد الجبار عن عبد الله بن يزيد بن آدم، عن أبي الدرداء وأبي أمامة، وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب مغفرة ربه» اهـ.
وقال الطبراني: لا يُروى هذا الحديث عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس إلا بهذا الإسناد، تفرد به إسماعيل بن عيسى .اهـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة وابن عدي من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، أقصر الصلاة في سفري؟ قال: نعم، إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بفريضته» وفيه عمر بن عبد الله بن أبي خثعم اليمامي وهو منكر الحديث؛ قاله ابن عدي، وأخرجه أيضاً من طريق سعد بن سعيد بن أبي سعيد، حدثني أخي عبد الله عن أبيه. عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه، ورواه ابن حبان وأحمد والبزار، وأبو يعلى من رواية حرب بن قيس عن نافع عن ابن عمر بلفظ: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» وفي الباب عن ابن عباس. أخرجه ابن حبان والطبراني، وأبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن حسان عن عكرمة عنه بلفظ ابن عمر وعن ابن مسعود أخرجه الطبراني، والعقيلي، وأبو نعيم من رواية معمر بن عبد الله الأنصاري عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن علقمة عنه تفرد برفعه معمر، ووقفه غندر وروح بن عبادة وغيرهما عن شعبة. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره. وعن عائشة: أخرجه ابن عدي من رواية الحكم بن عبد الله الأيلي عن القاسم عن عائشة ومن رواية عمر بن عبيد البصري عن هشام عن أبيه عنها والحكم وعمر ضعيفان. وأخرجه الطبراني في الأوسط من طريق إسماعيل بن عيسى العطار، حدثنا عمر بن عبد الجبار، حدثنا عبد الله بن زيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة وأنس به وقال: لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به إسماعيل.
قلت: والإسناد مجهول. قوله: «وقولهم عزمة من عزمات ربنا» هذا طرف من حديث أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والحاكم والبيهقي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، في أثناء حديثه قال فيه: «ومن منعها يعني الزكاة، فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد منها شيء» وإسناده حسن. انتهى.

١١٥٣ ـ أخرجه أبو داود (٢/ ١٠١): كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث (١٥٧٥)، والنسائي =

عزمت عليك إلا فعلت كذا، إذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بدّ من فعله ولا مندوحة في تركه. وحقيقته/٢/٩٤أ: أنه من تسمية المفعول بالمصدر، وأصله من معزومات الأمور، أي: مقطوعاتها ومفروضاتها. ويجوز أن يكون مصدر في معنى الفاعل، أصله: من عازمات الأمور، من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] كقولك: جد الأمر، وصدق القتال. وناهيك بهذه الآية مؤذنة يقدم هذه الطاعات، وأنها كانت مأموراً بها في سائر الأمم وأنّ الصلاة لم تزل عظيمة الشأن، سابقة القدم على ما سواها، موصى بها في الأديان كلها.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

تصاعر، وتصعر: بالتشديد والتخفيف. يقال: أصعر خدّه. وصعره، وصاعره: كقولك أعلاه وعلاه وعالاه: بمعنى. والصعر والصيد: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه. والمعنى: أقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تولهم شق وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون. أراد: ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ تمرح ﴿مَرَحًا﴾ أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا. ويجوز أن يريد: ولا تمش لأجل المرح والأشر، أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والأشر كما يمشي كثير من الناس لذلك، لا لكفاية مهم ديني أو دنيوي. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ﴾. والمختال: مقابل للماشي مرحاً، وكذلك الفخور للمصعر خدّه كبراً ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ واعدل فيه حتى يكون مشيًا بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثيب الشطار. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» (١١٥٤). وأما قول عائشة في عمر ـ رضي الله

= (٥/ ١٥): كتاب الزكاة: باب عقوبة مانع الزكاة، وباب سقوط الزكاة عن الإبل إذا كانت رسلاً لأهلها ولحمولتهم، وأحمد في مسنده (٥/ ٢ و٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٣٩٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .اهـ.

وقال ابن حجر: وإسناده حسن.

١١٥٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٧٥): روي من حديث أبي هريرة، ومن حديث ابن عمر، ومن حديث الخدري .اهـ.

أما حديث أبي هريرة:

فأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩٠)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٤١٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٧٠٧ ـ ٧٠٨) رقم (١١٧٨).

كلهم من طريق محمد بن عبد الملك بن قريب الأحمر عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة به. قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/ ٤١٧): قال الشيخ أبو بكر: لم أسمع =

عنهما ـ: «كان إذا مشى أسرع» (١١٥٥)، فإنما أرادت السرعة المرتفعة عن دبيب

= لمحمد بن الأصمعي ذكر إلا في هذا الحديث .اهـ.

وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٨): وفيه أبو معشر، وقد ضعفه يحيى والنسائي والدارقطني .اهـ. وله طريق آخر:

أخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٨)، وابن عدي في الكامل كما في تخريج الكشاف (٣/ ٧٥) من طريق عمار بن مطر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة به. وقال ابن الجوزي: فيه عمار بن مطر قال الدارقطني: تفرد به عن ابن أبي ذئب قال أبو حاتم الرازي: كان يكذب. قال ابن عدي: متروك الحديث أحاديثه بواطل .اهـ.

وأما حديث ابن عمر:

فأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/٧٠٧) رقم (١١٧٧)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (ج ١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥) رقم (٩٢٢) وابن حبان في «الضعفاء» (ج ٢/ ٨٢).

كلهم من طريق الوليد بن سلمة القاضي عن عمر بن صهبان عن نافع عن ابن عمر به.

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/٧٠٧): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ـ ﷺ ـ فحديث ابن عمر فيه عمر بن صهبان، قال أحمد: لم يكن بشيء وقال يحيى: لا يساوي شيئاً، وقال النسائي والدارقطني: متروك .اهـ.

وقال ابن حبان في الضعفاء (٢/ ٨١ ـ ٨٢): عمر بن محمد بن صهبان الأسلمي روى عنه العراقيون وأهل الشام، كان ممن يروي عن الثقات المعضلات التي إذا سمعها من الحديث صناعته لم يشك أنها معمولة .اهـ.

وأما حديث أبي سعيد الخدري:

فقد أخرجه ابن عدي في الكامل؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٧٦) من طريق الوليد بن سلمة عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي سعيد الخدري به. وقال ابن حبان في «الضعفاء» (٣/ ٨٠): الوليد بن سلمة الطبراني أبو العباس من أهل الطبرية، كان على قضاء الأردن، يروي عن عبيد الله بن عمر، روى عنه أهل الشام وابنه إبراهيم بن الوليد بن سلمة. كان ممن يضع الحديث على الثقات، لا يجوز الاحتجاج به بحال وابنه نفسه .اهـ.

وللحديث شاهد أيضاً من حديث أنس: أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع» (١/ ١٥٢) رقم (١٩٦) من طريق عبد السلام بن سليمان الأزدي عن أبان عن أنس بن مالك به.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر، وأخرجه ابن عدي من رواية عمار بن مطرد وهو متروك، وقد تابعه الوليد بن سلمة وهو أوهى منه، لكنه قال: عن ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي سعيد والوليد بن سلمة. وفيه إسناد آخر أخرجه ابن عدي من روايته عن عمرو بن صهبان عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة وإسناده ضعيف أيضاً. انتهى.

١١٥٥ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٧٦): غريب، وفي النهاية لابن الأثير عن عائشة قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا قال أسمع، وإذا ضرب أوجع .اهـ.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢٠) من طريق محمد بن عمر الأسلمي عن عمر بن سليمان بن أبي خيثمة عن أبيه قال: قالت الشفاء بنت عبد الله: كان عمر إذا مشى. . . إلى آخره سواء. =

المتماوت. وقرئ: وأقصد، بقطع الهمزة، أي: سدّد في مشيتك من أقصد الرامي إذا سدّد سهمه نحو الرمية ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ وانقص منه واقصر؛ من قولك: فلان يغض من فلان إذا قصر به ووضع منه ﴿أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ﴾ أوحشها، من قولك: شيء نكر، إذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت. والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه. ومن استفحاشهم لذكره مجرداً وتفاديهم من اسمه: أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، كما يكنى عن الأشياء المستقذرة: وقد عدّ في مساوي الآداب: أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة. ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت منه الرجلة[1]، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة ـ وإن جعلوا حميراً وصوتهم نهاقا ـ ومبالغة شديدة في الذم والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه. وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان. فإن قلت: لم وحد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده.

﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٢٠﴾

﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ البحار والأنهار والمعادن والدواب وما لا يحصى ﴿وَأَسۡبَغَ﴾ وقرئ بالسين والصاد، وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول في سلخ، صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ: صالغ[2] وقرئ: نعمه، ونعمة، ونعمته. فإن قلت: ما النعمة؟ قلت: كل نفع قصد به الإحسان، والله تعالى خلق العالم كله نعمة؛ لأنه إما حيوان، وإما غير حيوان. فما ليس

= قال الحافظ في تخريج الكشاف: ذكره ابن الأثير في النهاية، قلت: لعله أخذه عن الفائق، وفي الطبقات لابن سعد من رواية سليمان بن أبي حثمة. قال: قالت الشفاء بنت عبد الله، وهي أم سليمان: كان عمر إذا مشى... فذكره. انتهى.

(١) قوله «منه الرجلة» أي: المشي برجله، يعني: وإن أتعبه المشي وعدم الركوب. وفي الصحاح «الرجل» بالتحريك: مصدر قولك: رجل ـ بالكسر ـ أي: بقي راجلاً. (ع)

(٢) قوله «وفي سالغ صالغ» في الصحاح: سلغت البقرة والشاة، إذا أسقطت السن التي خلفت السديس والسلوغ في ذوات الأظلاف: بمنزلة البزول في ذوات الأخفاف. (ع)

بحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أنّ إيجاده حياً نعمة عليه. لأنه لولا إيجاده حياً لما صح منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة. فإن قلت: لم كان خلق العالم مقصوداً به الإحسان؟ قلت: لأنه لا يخلقه إلا لغرض، وإلا كان عبثاً، والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع؛ لأنه غني غير محتاج إلى المنافع، فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه. فإن قلت: فما معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت: الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلاً، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى إلى العلم بها، وقد أكثروا في ذلك: فعن مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء، والباطنة: الأمداد من الملائكة. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: الظاهرة: الإسلام. والباطنة الستر. وعن الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة. وتسوية الأعضاء. والباطنة: المعرفة. وقيل: الظاهرة البصر، والسمع، واللسان، وسائر الجوارح الظاهرة. والباطنة: القلب، والعقل، والفهم، وما أشبه ذلك. ويروى في دعاء موسى عليه السلام: إلٰهي، دلني على أخفى نعمتك على عبادك؛ فقال: أخفى/ ٢/ ٩٤ب نعمتي عليهم النفس. ويروى: أن أيسر ما يعذب به أهل النار: الأخذ بالأنفاس (١١٥٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

معناه: يتبعونهم ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ﴾ أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾

قرأ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ومن يسلم بالتشديد، يقال: أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله. فإن قلت: ماله عدّى بإلى، وقد عدّى باللام في قوله: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ﴾؟ قلت: معناه مع اللام: أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله، أي خالصاً له. ومعناه ـ مع إلى ـ: أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه. والمراد: التوكل عليه والتفويض إليه ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ من باب التمثيل: مثلت

١١٥٦ ـ قال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ٧٧): غريب جدا .اهـ.
وقال ابن حجر: لم أجده.

حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي هي صائرة إليه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

قرئ: يحزنك، ويحزنك: من حزن، وأحزن. والذي عليه الاستعمال المستفيض: أحزنه ويحزنه. والمعنى: لا يهمنك كفر من كفر وكيده للإسلام، فإن الله عزّ وجلّ دافع كيده في نحره، ومنتقم منه، ومعاقبه على عمله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ يعلم ما في صدور عباده، فيفعل بهم على حسبه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ زماناً ﴿قَلِيلًا﴾ بدنياهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطرّ إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك[١] منه. والغلظ: مستعار من الأجرام الغليظة. والمراد: الشدّة والثقل على المعذب.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأنّ الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده، وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر. وأن لا يعبد معه غيره، ثم قال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ ذلك يلزمهم، وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين المستحق للحمد، وإن لم يحمدوه.

قرئ: والبحر، بالنصب عطفاً على اسم إنّ، وبالرفع عطفاً على محل إن، ومعمولها على ولو ثبت[٢] كون الأشجار أقلاما، وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر. أو على الابتداء

---

(١) قال محمود: «شبه إلزامهم التعذيب باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه» قال أحمد: وتفسير هذا الاضطرار في الحديث في أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد، فيرسل الله عليهم الزمهرير. فيكون عليهم كشدة اللهب. فيتمنون عود اللهب اضطراراً. فهو إخبار عن اضطرار.
وبأذيال هذه البلاغة تعلق الكندي حيث يقول:

يرون الموت قداما وخلفا   فيختارون والموت اضطرار

(٢) قوله «ومعمولها على: ولو ثبت» لعله: على معنى ولو... إلخ. (ع)

والواو للحال، على معنى، ولو أنّ الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً، وفي قراءة ابن مسعود: وبحر يمدّه على التنكير، ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأوّل. وقرئ: يمدّه، ويمدّه. وبالتاء والياء. فإن قلت: كان مقتضى الكلام أن يقال: ولو أنّ الشجر أقلام، والبحر مداد. قلت: أغنى عن ذكر المداد قوله: يمدّه، لأنه من قولك: مدّ الدواة وأمدّها، جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً، فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع. والمعنى: ولو أنّ أشجار الأرض أقلام، والبحر ممدود بسبعة أبحر. وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله، لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد، كقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]. فإن قلت: زعمت أنّ قوله: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حال في أحد وجهي الرفع، وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال. قلت: هو كقوله [من الطويل]:

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا ....(١)

و: جئت والجيش مصطف، وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، ويجوز أن يكون المعنى: وبحرها، والضمير للأرض. فإن قلت: لم قيل ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً(٢). فإن قلت:

---

(١) وقد أغتدي والطير في وكناتها   بمنجرد قيد الأوابد هيكل

لامرىء القيس من معلقته، وقد: للتكثير. والوكنات: جمع وكنة بضمتين. وبتثليث أوله وسكون ثانيه: موضع الطير الذي يبيت فيه، والباء للملابسة، والمنجرد: دقيق الشعر قصيره، أو سريع الجري. وشبه الفرس بالقيد تشبيهاً بليغاً: أي: لا تنفك منه الأوابد: وهي الوحوش، ولا تفوته هيكل: عظيم الجسم.

ينظر: ديوانه ص ١٩، وإصلاح المنطق ص ٣٧٧، وخزانة الأدب ٣/ ١٥٦، ٢٤٣، وشرح المفصل ٢/ ٦٦، ٦٨، ٣/ ٥١، ولسان العرب (قيد)، ١١/ ٧٠٠ (هكل)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/ ٤١٠، ٣/ ٤١، وخزانة الأدب ٤/ ٢٥٠، والخصائص ٢/ ٢٢٠، ورصف المباني ص ٣٩٢، وشرح شواهد المغني ٢/ ٨٦٢، وشرح عمدة الحافظ ص ٤٨٧، والمحتسب ١/ ١٦٨، ٢/ ٢٤٣، ومغني اللبيب ٢/ ٤٦٦.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله «ما نَنسَخ مِنْ آية» قُلْتُ: وهذا يذهب بالمعنى الذي أبداه الزمخشري. ورده الشيخ: بأن جمع السلامة متى عُرِّفَ بألْ غير العهدية أو أُضِيفَ عَمَّ قُلْتُ: للناس خلاف في ألْ هل تَعُمُّ أوْ لا؟ وقد يكون الزمخشري مِمَّن لا يرى العموم ولم يزل الناسُ يسألون في بيت حسان رضي الله عنه:
لَنَا الْجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى...
ويقولون كيف أتى بجمع القلة في مقام المدح ولِمَ لَمْ يَقُلْ الجفانُ وهو تقريرٌ لما قاله الزمخشري واعترافٌ بأنَّ ألْ لا تؤثر في جمع القلة تكثيراً. انتهى الدر المصون.

الكلمات جمع قلة، والموضع موضع التكثير لا التقليل. فهلا قيل: كلم الله؟ قلت: معناه أنّ كلماته لا تفي بكتبتها البحار، فكيف بكلمة؟ وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها نزلت جواباً لليهود لما قالوا: «قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة» وقيل: إن المشركين قالوا: إنّ هذا يعنون الوحي ـ كلام سينفذ، فأعلم الله أن كلامه لا ينفذ. وهذه الآية عند بعضهم مدنية، وأنها نزلت بعد الهجرة، وقيل هي مكية، وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله ـ ﷺ ـ: ألست تتلو فيما أنزل عليك: أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج من علمه وحكمته شيء، ومثله لا تنفذ كلماته وحكمه.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلا كخلقها وبعثها، أي: سواء في قدرته القليل والكثير، والواحد والجمع، لا يتفاوت، وذلك أنه إنما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد: أن لو شغله شأن عن شأن وفعل عن فعل. وقد تعالى عن ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة، لا يشغله إدراك بعضها عن إدراك بعض، فكذلك/ ٢/ ١٩٥أ الخلق والبعث.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾

كل واحد من الشمس والقمر يجري في فلكه، ويقطعه إلى وقت معلوم: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر. وعن الحسن: الأجل المسمى: يوم القيامة؛ لأنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذٍ. دلّ أيضاً بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب، وبإحاطته بجميع أعمال الخلق: على عظم قدرته وحكمته. فإن قلت: يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى: أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن[1]. ولكن المعنيين. أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض: لأنّ قولك يجري إلى أجل مسمى: معناه يبلغه وينتهي إليه. وقولك: يجري لأجل مسمى: تريد

(١) قوله «إلا بليد الطبع ضيق العطن» في الصحاح: «أنه مبرك الإبل عند الماء، لتشرب عللا بعد نهل. (ع)

يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى. ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة، وجري القمر مختص بآخر الشهر، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الأحياء القادرون العالمون. فكيف بالجماد الذي تدعونه من دون الله، إنما هو بسبب أنه هو الحق الثابت إلهيته. وأنّ من دونه باطل الإلهية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الشأن ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ السلطان. أو ذلك الذي أوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان أنّ الله هو الحق، وأنّ إلٰهاً غيره باطل، وأنّ الله هو العليّ الكبير عن أن يشرك به.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

قرئ: الفلك، بضم اللام. وكل فعل: يجوز فيه فعل، كما يجوز في كل فعل فعل، على مذهب التعويض. وبنعمات الله: بسكون العين. وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته ﴿صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه، وهما صفتا المؤمن، فكأنه قال: إنّ في ذلك لآيات لكل مؤمن.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

يرتفع الموج ويتراكب، فيعود مثل الظلل، والظلمة: كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرئ: كالظلال. جمع ظلة. كقلة وقلال ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط في الكفر والظلم، خفض من غلوائه، وانزجر بعض الانزجار. أو مقتصد في الإخلاص الذي كان عليه في البحر، يعني أنّ ذلك الإخلاص الحادث عند الخوف، لا يبقى لأحد قط، والمقتصد قليل نادر. وقيل: مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله في البحر. والختر: أشدّ الغدر. ومنه قولهم: إنك لا تمدّ لنا شبراً من غدر إلا مددنا لك باعاً من ختر؛ قال [من الوافر]:

وَإِنَّــكَ لَــوْ رَأَيْــتَ أَبَــا عُــمَــيْــرٍ ... مَــلأْتَ يَــدَيْــكَ مِــنْ غَــدْرٍ وَخَــتْــرِ[1]

---

(١) الغدر: أشد الختر. وروي: أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً عد بأصابع يده اليمنى: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبأصابع اليسرى: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني، فقال رسول الله ﷺ: «ملأت يديك خيراً». شبه المعقول بالمحسوس على سبيل المكنية. وملء اليدين: تخييل، وذكرهما لأن الرجل عد بهما، فضربه الشاعر مثلاً لحال أبي عمير ومن يراه على سبيل الاستعارة التمثيلية التهكمية، فإن من رآه =

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿لَّا يَجْزِي﴾ لا يقضي عنه شيئاً. ومنه قيل للمتقاضي: المتجازي. وفي الحديث في جذعة بن نيار: تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك (١١٥٧). وقرئ: لا يجزىء: لا يغني[١]. يقال: أجزأت عنك مجزأ فلان. والمعنى: لا يجزي فيه، فحذف ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان. وقيل: الدنيا وقيل: تمنيكم في المعصية المغفرة. وعن سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: الغرّة بالله: أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة. وقيل: ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرّة. وقرئ بضم الغين وهو مصدر غرة غروراً. وجعل الغرور غارّاً، كما قيل: جدّ جدّه. أو أريد زينة الدنيا لأنها غرور. فإن قلت: قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ﴾ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف[٢] عليه. قلت: الأمر كذلك؛ لأنّ الجملة الإسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: ﴿هُوَ﴾ وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾ والسبب في مجيئه على هذا السنن: أنّ الخطاب للمؤمنين وعليتهم[٣]: قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم: أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً؛ فلذلك جيء به على الطريق الآكد. ومعنى التوكيد في لفظ المولود: أن الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي ولد منه، لم تقبل شفاعته، فضلاً أن يشفع لمن

١١٥٧ ـ تقدم في أوائل البقرة.

= وعد معايبه، كأنه ملأ يديه شراً لا خيراً وحذف العد إشارة إلى أنه بمجرد الرؤية يحصل ذلك. ينظر: ديوانه (١٠٩)، البحر المحيط (٧/ ١٨٢)، الدر المصون (٥/ ٣٩٢).

(١) قوله «وقرىء لا يجزىء لا يغني» لعله: أي لا يغني. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أكد الجملة الثانية دون الأولى؟ قلت: لأن أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر، فلما كان إغناء الكافر عن المسلم بعيداً لم يحتج تأكيداً. ولما كان إغناء المسلم عن الكافر قد يقع في الأوهام أكد نفيه» قال أحمد: وهذا الجواب تتوقف صحته على أن هذا الخطاب كان خاصاً بالموجودين حينئذٍ، والصحيح أنه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس، فالجواب المعتبر ـ والله أعلم ـ أن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء، وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل، وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه قطع ههنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مجزيه بحقه عليه، ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه، فلما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنون الوقوع ـ لأن الله حضه عليه في الدنيا ـ كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم، ولا كذلك العكس، فهذا جواب كاف شاف للعليل، إن شاء الله تعالى. (ع)

(٣) قوله «وعليتهم» أي أشرافهم وعظماؤهم. (ع)

فوقه من أجداده؛ لأنّ الولد يقع على الولد وولد الولد؛ بخلاف المولود فإنه من ولد منك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

روي أنّ رجلاً من محارب وهو الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ/٢/٩٥ب فقال: يا رسول الله، أخبرني عن الساعة متى قيامها، وإني قد ألقيت حباتي في الأرض وقد أبطأت عنا السماء، فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها، أذكر أم أنثى؟ وإني عملت ما عملت أمس، فما أعمل غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته، فأين أموت (١١٥٨). فنزلت وعن النبي ﷺ: «مفاتح الغيب خمس» (١١٥٩). وتلا هذه الآية. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب، إياكم والكهانة فإن الكهانة تدعو إلى الشرك والشرك وأهله في النار. وعن المنصور أنه أهمه معرفة مدّة عمره، فرأى في منامه كأن خيالاً أخرج يده من البحر وأشار إليه بالأصابع الخمس، فاستفتى

١١٥٨ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢٦) رقم (٢٨١٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيعلي (ج ٣/ ٧٧) من حديث ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، إن امرأتي حبلى فأخبرني متى تلد؟ فذكره.
وذكره الواحدي في تفسيره: (٣/ ٤٤٧) وفي كتابه «أسباب النزول» ص (٣٥٩)، والثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف (٣/ ٧٧) من غير سند ولا راوٍ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٥/ ٣٢٥) وزاد نسبته إلى الفريابي.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: هكذا ذكره الواحدي والثعلبي بغير سند، وأخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. قال: «جاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، إن امرأتي حبلى فأخبرني متى تلد؟ فذكره». انتهى.
١١٥٩ ـ أخرجه البخاري (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١) كتاب الاستسقاء: باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، حديث (١٠٣٩)، و(٩/ ١٧٧): كتاب التفسير: باب (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا الله)، حديث (٤٦٢٧)، و(٩/ ٢٨٤): باب سورة الرعد، و(٩/ ٤٦٦): باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ و(١٥/ ٣١١): كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ حديث (٧٣٧٩).
والطبري في تفسيره (١٠/ ٢٢٧) رقم (٢٨١٧٨ ـ ٢٨١٧٩)، والواحدي في «تفسيره (٣/ ٤٤٨) وفي «أسباب النزول» ص (٣٥٩ ـ ٣٦٠) رقم (٦٨٣) كلهم من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٢٥) وزاد نسبته إلى الفريابي ومسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عمر به.
قال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف: أخرجه البخاري من حديث ابن عمر. انتهى.

العلماء في ذلك، فتأوّلوها بخمس سنين، وبخمسة أشهر، وبغير ذلك، حتى قال أبو حنيفة رحمه الله: تأويلها أنّ مفاتح الغيب خمس لا يعلمهاإلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه ﴿عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ أيان مرساها ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ في إبانه من غير تقديم ولا تأخير، وفي بلد لا يتجاوزه به ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، أتام أم ناقص، وكذلك ما سوى ذلك من الأحوال ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ برّة أو فاجرة ﴿مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، وربما كانت عازمة على خير فعملت شراً، وعازمة على شر فعملت خيراً ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾ أين تموت، وربما أقامت بأرض وضربت أوتادها وقالت: لا أبرحها وأقبر فيها. فترمى بها مرامى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها، ولا حدّثتها به ظنونها. وروي أنّ ملك الموت مرّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فقال الرجل من هذا؟ قال: ملك الموت، فقال: كأنه يريدني. وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند، ففعل، ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري إليه تعجباً منه، لأني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك (١١٦٠). وجعل العلم لله والدراية للعبد. لما في الدراية من معنى الختل والحيلة. والمعنى: أنها لا تعرف ـ وإن أعملت حيلها ـ ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها، ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته، فإذا لم يكن له طريق إلى معرفتهما، كان من معرفة ما عداهما أبعد. وقرئ: بأية أرض. وشبه سيبويه تأنيث «أيّ» بتأنيث، كل في قولهم: كلتهنّ.

عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشراً عشراً بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر (١١٦١).

١١٦٠ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٠) رقم (٣٤٢٦٨) من طريق عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان فجعل ينظر إليه. . . إلى آخره.
وأخرجه أحمد بن حنبل في كتاب الزهد من طريق عبد الله بن نمير به، ومن طريق أحمد بن حنبل رواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (ج ٣/ ٧٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف: موقوف. رواه أحمد في الزهد وابن أبي شيبة قالا: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة عن شهر بن حوشب قال: «دخل ملك الموت، فذكره». انتهى.

١١٦١ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وهو حديث فضائل القرآن الموضوع على النبي ـ ﷺ ـ.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم عن أبي بن كعب. انتهى.